

أنبياء إسرائيل
النبوة وصياغة المجتمع المعاصر

سفر هوشع

الدكتور القس مكرم نجيب

هوشع والمحبة المجروحة

يسمى السفر فى العربية "هوشع"
وهى الكلمة العبرية Hoshea التى
تعنى "يخلص" أما فالترجمة
السبعينية والفلجاتا Osee، وفى
الانجليزية خليط بين العبرية
والسبعينية Hoshea



وهوشع هو نبى المحبة، أو كما يقول
عنه كامبل مورجان "هو رسالة قلب
الله وقداسته" لُقّب فى (هوشع ١: ١) "هوشع بن بنيرى"، وذلك لأن العادة
يَوْمئذ أن يلقب البعض بأسماء موطنهم، مثل ميخا المورشتى، وناحوم
الألفوشى. ويلقب البعض بأسماء آباؤهم مثل يوثيل بن فنوئيل، وهوشع بن
بنيرى. ولعلمهم كانوا يلقبون بأسماء آباؤهم عندما كانوا يرون أن هذا يضيف
عليهم شرفاً وعراقة محتد، وذلك حسب الفكر بل الغرور اليهودى الذى
يزعم بأنه إذا ذُكر اسم أب لنبى كان أبوه نبياً.

أما كلمة "بنيرى" فمعناها بئر، ويقول البعض أنه كان من الملاك الذين
يمتلكون بئراً خاصاً. وهى تذكرنا بينبوع الحياة الذى يستقى الأنبياء..
ويجب أن يستقوا دائماً، وهوشع أقدم الأنبياء الذين كتبوا، الذين يطلق
عليهم: The writing prophets تمييزاً لهم عن أنبياء لم يكتبوا أمثال إيليا
وغيره. ويقول الأقدمون أنه كان من بيت شمس ومن سبط يساكر وقد ظل
ينتبأ زمناً طويلاً قَدَره متى هنرى بتسعين عاماً، وقدره مايربيرلمان بستين
عاماً، وقَدَره قاموس الكتاب بأربعين عاماً.. ولذلك فإنه - كما يقول جيروم -
تنبأ عن خراب المملكة الإسرائيلية قبل أن يتم هذا الخراب بوقت طويل،
وعاش حتى رآه ورثاه، واستخدمه لتحذير مملكة يهوذا.

وهو يتميز بأنه من المملكة الشمالية (اسرائيل): ويقول Knight في كتابه عن سفر هوشع (١٩٦٠) إن هوشع ربما كان يعمل "خبازاً" مستنداً على ما جاء في (٧ : ٤). أو مزارعاً كابن لإحدى عائلات الريف الشريفة، لما له من إلمام واسع بالحقول التي استقى منها الكثير من الصور، بالإضافة إلى صلته الواضحة بالمدينة في نفس الوقت، كما يذكر الخوري بولس الفعلى في كتابه عن الأنبياء الاثنى عشر (١٩٩٣).

ولأنه من مواطني المملكة الشمالية، وليس موفداً إليها كعاموس، تربطه روابط الوطنية والتعاطف بالأمة التي يتنبأ الآن بعقابها وسقوطها. ويعبر عن فسادها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والديني كشاهد عيان. ويعبر عن ذلك كله بعواطف مهتاجة ثائرة نازفة، تحس بالخطر الداهم الذي يحدق بالوطن، وبالمستقبل المؤلم الذي ينتظره.

وهوشع هو أول الأنبياء الصغار، وكلمة "صغار" لا ترجع إلى السلطة أو التأثير أو الشخصية أو القدر والمكانة، لكنها ترجع إلى حجم الكتاب وقصره كما ذكرنا في المقدمة عن الأنبياء الصغار عامة. ويقول المؤرخ اليهودي "يوسيفوس" إن هذه الأسفار الاثنى عشر جمعها معاً في مجلد واحد أعضاء المجمع العظيم في عصر عزرا. كما تحدث ابن سيراخ عن هؤلاء الأنبياء الاثنى عشر بإكرام عظيم كرجال "شددوا (عزرا) يعقوب" (حكمة هوشع ٤٩ : ١٠). وهناك بعض الاختلاف في ترتيب الأسفار، إلا أن الترتيب الحالي يتفق مع ما فعله العبرانيون القدماء. والكل يتفقون على وضع نبوة هوشع أولاً.

ولقد جاز هوشع النبي ظروفه وأحواله المختلفة، فالبعض من معاصريه الملوك كانوا صالحين فعضوه، وكان غيرهم أشراراً فقاوموه. لكنه بدأ يتنبأ في وقت كان قصاص الله ظاهراً (٢ صموئيل ٢٤ : ١٤)، إذ حدثت الزلزلة العظيمة في أيام عزريا ويربعام معاصره كما هو وارد في (زكريا ١٤ : ٥ : عاموس ٧ : ١) ثم ضربة الجراد في (يوئيل ١ : ٢ - ٤)، (عاموس ٧ : ١ : هوشع ٤ : ٣). كما كانت المملكة (اسرائيل) مزدهرة في حكم يربعام الثاني (٢ ملوك ١٤ : ٢٥، ٢٧) ويستحسن هنا قراءة (٢ ملوك ١٤ : ٢٢ - ١٥ : ٣١) لأن ذلك يعتبر الأساس التاريخي لهذا السفر.

زواج هوشع



أما مشكلة زواجه، بل قصته التي لوّنت كتاباته، وشكلت نبواته، فهي واضحة كتابياً في هوشع في الأصحاحين الأول والثاني.. ونحن نرى في الجزء الأول منها مأساة كثيراً ما تحدث، وفي الجزء الثاني معجزة يندر أن تحدث، مهما وصل الوفاء في حياة أى إنسان. أن يغفر الزوج سقطه زوجته قد يحدث هذا، أما أن يبحث عنها ويسعى وراءها بعد أن تصل إلى قرار الهاوية، وابتاعها من سيدها، ويدفع ثمنها من ماله وغلاته ثم يعيدها مرة ثانية إلى بيته بل إلى قلبه وحبه وثقته الأولى، هذا أكثر من أن يتصوره عقل بشرى.

لكن هذه الواقعة حيرت الكثيرين من المفسرين والكتاب، وأذهلت الغالبية من اللاهوتيين بل أفزعتهم، وخاصة ما جاء في (هوشع ١: ٢) "أول ما كلم الرب هوشع قال... اذهب خذ لنفسك امرأة زنى" .. ووقف الكل مشدودين

مشدوهين إزاء هذا القول الغريب ، ثم ذهبوا في إصدار الحل المنطقي الذي رأوه . وها أنا أسوق لك أيها القارئ العزيز بعض الحلول كما هي للمناقشة والتفكير :

١ - قال البعض أن الأمر مجرد حلم أو رؤيا، ولم يحدث الحلم ولم تتحقق الرؤيا. وهذا الرأي خرج بالمشكلة إلى إطار خيالي.

٢ - قال البعض أن هذا الأمر مثل له مغزى، وليس حقيقة، فإله لا يرضى بزواج الزنى، والناموس يحرم ذلك مطلقاً. وهذا الرأي خرج هو أيضاً بالمشكلة إلى إطار أسطوري.

٣ - لكن فريقاً من علماء الكتاب المقدس قال إن ذلك حدث فعلاً لحكمة إلهية وهي إعطاء الدرس للبشر.

٤ - أما الفريق الأخير فقال أن ذلك حدث بالفعل، ولكنه حدث بعد الزواج. وقد لقبها الله "امرأة زنى" لعلمه السابق بما سيحدث لها. ولم يحرم النبي في بداية حياته الزوجية من أيام سعيدة مباركة. وأنه ما كان يعرف شيئاً عن ذلك الشيطان المستتر في قلب عروسه. ولقد كان هذا درساً عملياً وأمثلة حية لأمة متمردة كمملكة إسرائيل الخائنة. وهذا يبدو واضحاً في الأسماء التي أطلقها هوشع على أبنائه. وهذا الرأي الأخير قد يكون أكثر الآراء قبولاً. والتفاصيل في الأصحاح الثاني تؤيد هذا الرأي.

لكننا نجد في السفر مشكلة أخرى إذ نرى في (هوشع ٣: ١) أمراً من الله يقول له ثانية "أذهب أيضاً أحب امرأة حبيبة صاحب وزانية كمحبة الرب لبني إسرائيل" وفي هذه الحالة يقول السفر أنه اشترى زوجته بعد أن انزلت وهبطت إلى مهاوى الرذيلة، وبيعت في سوق العبيد، وكان عليها بعد شرائها أن تبقى بعيدة عن كل الرجال وعنه هو أيضاً فترة من الزمن.

ولنا أن نسأل هنا عن العلاقة بين زوجة الأصحاح الأول وزوجة الأصحاح الثالث ويجد المرء نفسه في موقف محير يصعب علينا الجزم فيه بقول فصل. ولذلك نرى بعض الاحتمالات الآتية :

❖ الاحتمال الأول : أن النبي تزوج مرتين، فزوجة الأصحاب الثالث ليست "جومر" زوجة الاصحاب الأول.

❖ الاحتمال الثانى : أن النبي تزوج مرة واحدة. لكنها هربت وباعت جسدها، وراحت تهوى حتى أمست خادمة، ومع هذا لم تخفت شعلة المحبة فى قلب هوشع، بل بذل جهد طاقته لانتشالها من هوة الرذيلة التى تردت فيها، واشتراها من سوق الرقيق ليعتقها ويردها زوجة له.

❖ الاحتمال الثالث : الذى يقدمه البعض من المفسرين وخبراء الكتاب - أن الزوجة فى الأصحابين الأول والثالث واحدة، ولكن البيانات اختلفت فى تفاصيلها. وذلك لأن قصة الأصحاب الأول يرويها شخص آخر، وأما قصة الأصحاب الثالث فيرويها هوشع نفسه.

❖ الاحتمال الرابع : الذى يؤيده البعض - أن الزوجة فى الأصحابين واحدة، ولكن الراى هنا يؤكد الحل الرابع للمشكلة فى الأصحاب الأول - التى ورد ذكرها سابقاً - والذى ينادى بأن الزوجة انحرفت بعد فترة من الزواج. لذا يقول أصحاب هذا الراى أنه هنا فى الأصحاب الثالث بدأت الزوجة تنحرف بالفعل حقيقة وواقعاً، أما الكلام فى الأصحاب الأول والعدد الثانى فهو سرد تفصيلى لما حدث بعد ذلك.

❖ أما الاحتمال الخامس والأخير : فيقول أيضاً أن الحادثتين واحدة، ولكن الأصحاب الأول يحكى الحادثة الفعلية التى حدثت. أما الأصحاب الثالث فهو يحكى الاختبارات التى أخذها واختبرها النبى، والدروس التى تعلمها، والتى تنطبق على الشعب. أى أن الاصحاب الأول الحادثة الفعلية، والاصحاب الثالث التطبيق الروحى.

الموضوع

يكشف موضوع النبوة النقاب عن دعوة المحبة المجروحة للأمة المتمردة العاصية إلى التوبة والعودة. وأن علاقة الله بشعبه، هي علاقة مقامة على الحب والإحسان والمراحم والعدل والحق والأمانة والمعرفة كما في (٢ : ١٩ و ٢٠)



"وأخطبك نفسي إلى الأبد وأخطبك نفسي بالعدل والحق والإحسان والمراحم. أخطبك نفسي بالأمانة فتعرفين الرب".

ومحبة الله بلا حدود، فإن سمح للأمة بأن تُعاقب فلكي يعيدها إليه أكثر لمعاناً ونقاءً وصحة. فيقول في (٥ : ١٥ - ٦ : ٤) "أذهب وأرجع إلى مكاني حتى يجازوا ويطلبوا وجهي في ضيقهم يبكرون إليّ. هلم نرجع إلى الرب لأنه هو افترس فيشفينا ضرب فيجبرنا. يحيينا بعد يومين في اليوم الثالث يقيمنا فنجيا أمامه. لنعرف فلنتتبع لنعرف الرب خروجه يقين كالفجر يأتي إلينا كالمطر كمطر متأخر يسقي الأرض. ماذا أصنع بك يا أفرايم ماذا أصنع بك يا يهوذا فإن إحسانكم كسحاب الصبح وكالندى الماضي باكراً".

صحيح أن رسالة هوشع ممتلئة بالألم حافلة بالدموع، لكنها في نفس الوقت مشبعة بالثقة واليقين، ومحبة الله، والعهد والمصالحة (انظر ١ : ١٠ - ٢ : ١)، (٢ : ١٤ - ٢٣، ٣ : ١ - ٥، ١١ : ٨ - ١١، ١٤ : ١ - ٧). وأن صور الله في النبوة تعكس عمق وقوة المراحم الإلهية، فنراه في صورة الزوج (٢ : ١٤ - ٢٣)، الفلاح المثمر (٩ : ١٠)، والوالد (١١ : ١ - ٤)، والحارس (١٣ : ٤ و ٥)، والعاشق (٢ : ١٤ و ١٥) إلى آخره.

على الجانب الآخر تكشف النبوة عن سيادة الله الفريدة (١٢ : ٩، ١٣ : ٤). فانه هو الإله القدوس (١١ : ٩)، وهو وحده الذي تليق به العبادة. وبالتالي

فكل الآلهة الوثنية الأخرى صنعة الناس، عاجزة بلا حياة، تحرّم عبادتها تماماً (٨: ٦، ١٠: ٥ - ٦، ١٣: ٢) وتستوجب الدينونة الإلهية.

كما أن سيادة الله الفريدة تعني أنه يسيطر على كل جوانب الحياة الإنسانية، على الخليقة وعلى التاريخ، على السياسات الداخلية للشعوب وعلى الشؤون الدولية، على العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة أو خارجها وعلى الحياة الدينية. كل شيء يقع تحت سلطان الإله الحي الحقيقي، وهو وحده القادر أن يملأ كل الاحتياجات. وهكذا كان عقاب الله للأمة وللملوك ولرجال الدين.

الأسلوب

أسلوب النبوة موجز ومركّز العبارات، وفي بعض المواضع يشبه كثيراً سفر الأمثال. وأحياناً تبدو العبارات غير مترابطة، حتى أن البعض يطلق عليها "أقوال هوشع".

والسفر - مثل باقي الكتابات النبوية - بعضه شعر وبعضه نثر. وصياغته العبرية صعبة، وأثارت العديد من المشاكل ولكن ديفيد ألن هوبارد "David A. Hubbard" يُرجع هذه المشكلات إلى قصور معرفتنا أكثر من أن تكون ناتجة عن الخلل المزعوم للنص، وأن السفر يبدو على وجه العموم أنه صادر من هوشع، أو من تلاميذه المقربين الذين جمعوا أقواله وعدد كبير من العلماء يؤكدون أن القليل جدا في هذا السفر كتبه يد أخرى، مثل ما ذكر في مواضع ثلاثة نتحدث عن استقامة يهوذا بالمقارنة بشر إسرائيل. مما جعل البعض أمثال ولهاوزن وكورنل وهاربر، يعتبر أن هذه المواضع من صنع نبي أو كاتب متأخر مثل (١: ٧، ٥: ١٠، ١٢، ١٣، ١٤، ٦: ٤، ١١، ٨: ١٤، ١٠: ١٢، ١١، ١٢: ٢). لكن هذه الآراء قد تم هجرها إلى درجة كبيرة.

وأسلوب السفر مليء بالتشبيهات البلاغية والصور التي تتحدث عن خطايا إسرائيل مثل البقرة الجامحة (٤: ١٦)، والفخ والشبكة (٥: ١)، والعتث والنخر (١٢: ٥) والتنور المحمى (٧: ٣ - ٧)، وخبز الملة الذي لم يقلب

(٧: ٨، ٩)، والحمامة الرعاء (٧: ١١)، والقوس المخطئة (٧: ١٦)،
والإناء الذي لا قيمة له (٨: ٨)، والكرمة أو شجرة التين (٩: ١٠)، والعجلة
المتمردة (١٠: ١١)، والتاجر الغشاش (٧: ١٢)، الماخض التي لم تلد
والابن غير الحكيم (١٣: ١٣)... إلى آخره.

ولأن السفر يتحدث عن الدينونة والرجاء، عن العقاب والمراحم، عن
الرفض والمصالحة، عن التمرد والتوبة، لذلك نجد كل قسم من أقسامه يبدأ
بالدينونة ويختم بالمحبة والغفران ووعد الخلاص ودعوة العودة، حتى يصل
إلى قمته في أنشودة المحبة في الأصحاح الرابع عشر.

كل هذا لأن هوشع كتب سفره في أواخر أيام مملكة إسرائيل ربما بعد موت
يربعام الثاني، يوم كانت الأمة تركض نحو الخراب والفناء. وهنا أبدعت
براعة النبي الملهمة فرسمت صورة لمحبة الله، لا يدانيها في جمالها
وروعتها في التاريخ البشري، غير تلك التي قدمها السيد المسيح على هضبة
الجلجثة.

الاقتباسات

لاحظ الدارسون للكتاب المقدس أن في نبوتي إرميا وحزقيال عبارات كثيرة
تبدو أنها تشير إلى نبوة هوشع للدرجة أن مارتن بودر "Martin Buder"
لقب إرميا بتلميذ هوشع، أما حزقيال فإما أنه تأثر مباشرة من هوشع أو من
خلال إرميا.

فمثلاً ما ورد في (إرميا ٧: ٣٤، ١٦: ٩، ٢٥: ١٠، حزقيال ٢٦: ١٣)
يطابق ما ورد في (هو ٢: ١١). وما ورد في (حزقيال ١٦: ١٦) مقتبس من
(هوشع ٢: ٨). والوعد الوارد في (إرميا ٣٠: ٨، ٩، حزقيال ٣٤: ٢٣) نجده
في (هوشع ٣: ٥) وما جاء في (حزقيال ١٩: ١٢) نراه في (هوشع ١٣:
١٥). وهكذا نجد أن الأنبياء يعززون بعضهم بعضاً "وهذه كلها يعملها
الروح الواحد بعينه" (١كورنثوس ١٢: ١١).

كذلك اقتبس العهد الجديد من نبوات هوشع في (متى ٢: ١٥، ٩: ١٣، ١٢: ٧، رومية ٩: ٢٥، ٢٦، ١ بطرس ٢: ١٠). أيضا انظر (لوقا ٢٣: ٣ مع هوشع ١٠: ٨، ٢ كورنثوس ٩: ١٠ مع هوشع ١٠: ١٢، عبرانيين ١٣: ١٥ مع هوشع ١٤: ٢، رؤيا ٣: ١٧ مع هوشع ١٢: ٧) ... إلى آخره.

التقسيم

من خلال دراستنا لهذا السفر نجد أن هناك تقسيمين، الأول مختصر والثاني مطول. ولك أن تختار ما تفضله.
أما المختصر فهو على النحو التالي :

١-الانفصال : اسرائيل الزوجة الخائنة (ص ١-٣).

٢-الدينونة : إسرائيل الأمة الخائنة (ص ٤-١٣ : ٨).

٣-المصالحة : إسرائيل الأمة الراجعة (ص ١٣ : ٩-١٤).

أما المطول فهو يتحدث عن خبرة هوشع الشخصية (ص ١-٣) ثم أقوال أو رسائل هوشع النبوية (ص ٤-١٤) :

١-خبرة هوشع الشخصية (١ : ١ - ٣ : ٥).

أ) الخطية ص ١

ب) الدينونة ص ٢

ج) الرد ص ٣

٢-أقوال أو رسائل هوشع النبوية (٤ : ١ - ١٤ : ٩):

أ) الأقوال النبوية التي تؤكد وقوع الخطية ص ٤ : ١ - ٦ :

١١

١-الخطية ص ٤

٢-الدينونة ص ٥

٣-التوبة ص ٦

ب) الأقوال النبوية التي تؤكد وقوع القضاء ص ٧ : ١ - ١١

١١ :

١- الخطية ص ٧

٢- الدينونة ص ٨ : ١ - ١١ : ٧.

٣- الرد ص ١١ : ٨ - ١١.

ج) الأقوال النبوية التي تؤكد أن الله سيرد شعبه إليه ١١ : ١٢ - ١٤

٩ :

١- الخطية ص ١١ : ١٢ - ١٢ : ١٤,

٢- الدينونة ص ١٣,

٣- الرد ص ١٤.

تاريخ النبوة

كان هوشع فى المملكة الشمالية أثناء حكم الملوك عزريا ويوثام وأحاز وحزقيا ملوك يهوذا ويربعام الثانى ملك المملكة الشمالية (هوشع ١ : ١). وكان معاصراً لأشعيا نبي مملكة الجنوب أى يهوذا (هوشع ١ : ١ ، أشعيا ١ : ١) كذلك معاصر عاموس فى إسرائيل وميخا فى يهوذا، لذلك نرى أن تاريخه كالآتى:

١ - بالنسبة لتاريخ الملوك نجد تاريخه من ٧٨٥ - ٧٢٥ ق.م.

٢ - بالنسبة لتاريخ آشور نجد تاريخه من ٧٥٥ - ٧٢٥ ق.م.

من هنا نرى أن هوشع عاصر سقوط السامرة أو سبى الأسباط العشرة سنة ٧٢٢ ق.م.

التعاليم المستفادة

بعد كل هذا يجب أن نسأل أنفسنا : ماذا تعلمنا من هذا السفر؟ والإجابة كالآتي :

١- الله يتألم بسبب خيانة شعبه، وبسبب معاناته فى طريق ضلاله وعبادته للآلهة الوثنية التي تقوده للدينونة. والعالم الآن يلتف حول آلهة معاصرة كالمادية والعنصرية والقوة، وفي نفس الوقت يعاني الفراغ والضياع والظلم. إن العالم الآن يحتاج بشدة إلى الله، وإلى المثل الروحية العليا في حياته حتى يشعر بالسلام ويستعيد إنسانيته ودوره.

٢- الله يطلب الرحمة والأمانة أكثر من العبادة الشكلية ٦ : ٦ مع متى ٩ : ١٣ مع متى ١٢ : ٧ "إني أريد رحمة لا ذبيحة ومعرفة الله أكثر من محرقات".

٣- الله يحب الخاطئ بالرغم من بغضه لخطيته، لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وأثمهم لاعلى الناس أنفسهم. انه مازال يحب الخاطئ ويعطف عليه ويسعى وراءه ليعيده لنفسه ولمحبيته (ص ٤)، وما أرق هذه الكلمات "كيف أجعلك يا أفرايم. أصيرك يا إسرائيل. كيف أجعلك كأدمة. اصنعك كصبوييم. لقد انقلب على قلبي. اضطربت مراحمي جميعاً". (هوشع ١١ : ٨).

والله يرحب بالتائب (ص ١٤) إذ يقول الرب: "ارجع يا إسرائيل إلى الرب إلهك لأنك قد تعثرت باثمك. خذوا معكم كلاماً وارجعوا إلى الرب. قولوا له أرفع كل اثم واقبل حسناً فنقدم عجول شفاهانا ... أنا أشفى ارتدادهم. أحبهم فضلاً لأن غضبي قد ارتد عنهم ... يقول أفرايم مالى أيضاً وللأصنام. أنا قد أجبت فألاحظه. أنا كسروة خضراء. من قبلى يوجد ثمرك. من هو حكيم حتى يفهم هذه الأمور

وفهيم حتى يعرفها. فإن طرق الرب مستقيمة والأبرار يسلكون فيها. وأما المنافقون فيعثرون فيها".

٤- الله كسيد يسيطر على كل العالم، وعلى كل جوانب الحياة، ويحكم على تصرفات الناس وسياسات الحكام. لكنه لا يقف متفرجاً كما لا يعنيه الأمر، بل يتدخل في محبة عجيبة وعطف شديد.

